Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أردنا بذلك كله أن نصور كيف أن شاعر المديح فى هذا العصر حاول أن يضيف إلى عناصره الموروثة ، عناصر مستمدة من بيئته الحضارية ، ممثلا فيها كثيراً من المعانى والصور الدقيقة .

الهجاء :

ويُعدُّ الهجاء فنه الذى لا يبارى فيه ، وهو يتخذ عنده لونين : لوناً قاتماً كله إقذاع وسَبٌّ وهتك للأعراض وقد يُطيل فيه إلى مئات من الأبيات ، ولوناً زاهياً ينحو فيه منحى السخرية والإضحاك وهو اللون الأهم فى هجائه ؛ لأن اللون السابق كثيراً ما نجده عند سابقيه ومعاصريه ، أما الهجاء الساخر فقد نماه إلى أبعد حد تسعفه فى ذلك قدرة بارعة على استغلال العيوب الجسدية فى مهجوّيه ، حتى ليصبح شبيهاً أدق الشبه بأصحاب الصور الكاريكاتورية ، فهم يستغلون العيوب الخلقية ويبرزونها بالطول أو بالعرض أو بالتضخيم أو بالتصغير إبرازاً مضحكاً فى كل صوره ، وكذلك كان ابن الرومى هَجَّاءً ساخراً يعرف كيف يصور العيوب الجسدية والمعنوية تصويراً مضحكاً . ومن ذلك تصويره لشُحِّ عيسى ابن موسى بن المتوكل ، وأنه لو استطاع لتنفس من منخر واحد أو فتحة واحدة من فتحتى أنفه بخلا وحرصاً ، يقول ابن الرومى :

يُقَتِّرُ عيسى على نَفْسِهِ ... وليسَ بباقٍ ولا خالِدِ
فلو يستطيع لتقتيرِهِ ... تَنفَّس من مَنْخِرٍ واحدِ[٩٣]

ففتحة أنف واحدة كانت تكفيه ، ولو أنه رأى فيها حقاً كفاية ما انتفع بالفتحة الأخرى ، ولا حاول ذلك حرصاً وبخلا وشُحّاً جُبل عليه . وكذلك تصويره لبعض مهجويه بحيوانات مجترة ، كقوله :

ما ظننتُ الإنسان يَجْتَرُّ حتى ... كنتَ ذاك الإنسانَ عَيْنَ اليقينِ[٩٤]

أما أبو سليمان الطنبورى المغنى فقد استمع إلى غنائه القبيح يوماً ، فتراءى له فى صورة بغلٍ لطحّان مايزال يحرك فكيه فى أكل طعامه من الفول وغيره ، أو كما يقول :

---

(٩٣) المصدر نفسه ٢ : ٦٤١ .
(٩٤) المصدر نفسه ٦ : ٢٥٥٦ .